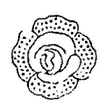


تنزيه الرسول
عن افتراء الغبى الجهول



تأليف :

عبد العزيز بن محمد

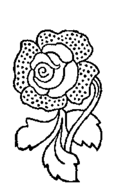
بن الصديق

طبع على نفقة المؤلف

عام 1379

قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه في مدح
النبي صلى الله عليه وءاله وسلم

واحسن منك لم ترقط عينى ❁ وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ❁ كانك قد خلقت كما تشاء



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما الهم وعلم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

وبعد: فهذا جزء لطيف خدمت به الجناب النبوي الشريف. والمقام المحمدي المنيف سميته (تنزيه الرسول. عن افتراء الغبى الجهول) اشرت فيه بطريق الاختصار الى فساد وبطلان ما نقله الامام امير المؤمنين فى الحديث شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ورضى عنه في فتح البارى فى شرح قوله صلى الله عليه وءاله وسلم اترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم إنى لاراكم من وراء ظهري. مما لا يليق بذات النبي صلى الله عليه وءاله وسلم المقدسة عن كل شين. وصفاته الكريمة الشريفة المنقولة الينا بنقل الكافة عن الكافة مما وقع به العلم الضروري عند كل مؤمن انه صلى الله عليه وءاله وسلم لم يكن في ذاته جارحة زائدة تشوه كمال خلقته. وتنقص من جمال صورته. وتوقع الناظر اليه صلى الله عليه وءاله وسلم أو السامع لصفاته في شيء من نسبة النقص اليه. او التعجب منه على طريق الاستغراب لانفراده بما لا يوجد فى نوع الانسان. إذ كل ذلك يجر الى النقص في الذات المكرمة. صلوات الله عليها. ويلقى في قلوب العامة ما يكون سببا في هلاكهم والعياذ بالله.

وهذا الذي نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله وان كان بطلانه ولله الحمد معلوماً بالضرورة لكل مؤمن لمخالفته لما تواتر عند الامة كلها من صفاته صلى الله عليه وءاله وسلم بحيث اصبح المسلمون يعرفون الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم مع بعد زمانهم عنه معرفة المشاهد المعاين. لنقل خلفهم عن سلفهم صفاته واحواله وشمائله بتفصيل تام. وتحرير كامل. الامر الذي يتعذر معه

أن يروج عليهم ما يخالف ذلك من صفاته الجميلة. واحواله السنية البهية، التي لا يشوبها شيء من النقص مطلقا

ولكن أردت مع هذا وذلك ان اتقرب الى الله تعالى بكتابة هذه الاسطر في بيان فساد تلك الاقوال خدمة للجانب النبوي الاعظم، عسى الله ان يحشرني في زمرة الذابين عن هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الخادمين لمقامه الشريف انه سميع مجيب

نقل الحافظ رحمه الله في باب عظة الامام الناس في اتمام الصلاة من الفتح في شرح الحديث المذكور قولين بصيغة التضعيف فقال: وقيل كانت له عين خلف ظهره يرى بها دائما. وقيل كان بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره.

اقول رحم الله الحافظ ما كان اغناه عن نقل هذه الخرافات السخيفة. والهراء الباطل. والكلام الفاسد الذي لا يؤيده عقل ولا يشهد له نقل. وإنما هو من تقول جاهل فضولى ادخل نفسه في ميدان العلم تطفلا عليه ولا زائد.

ونحن نعرف الرجال بكلامهم كما قال الامام علي عليه السلام المرء المخبوء تحت لسانه تكلموا تعرفوا.

فصاحبا هذين القولين وان كانا مجهولين حالا وعينا فكلامهما دل على انهما فضوليان جاهلان بعيدان عن العلم بعد المشرق عن المغرب ولكن اللوم الاعظم في هذا الموضوع عندى على الحافظ رحمه الله تعالى حيث سخم كتابه بهذه الاقوال السوقية التي لاتصدر الا عن العامة في الاسواق والعاقل يجب عليه الا يكون كحاطب ليل. وجارف سبيل. يجمع الاخضر واليابس. ويحمل الخبيث والطيب. ويرفع على ظهره الافاعى في حزم الحطب بل شأن العاقل ان يختار من القول أحسنه كما امر الله تعالى بذلك في كتابه. ويلتقط الدرر والجوهر ويدع الحصى والحجر. وبذلك يسلم هو من الطعن والاعتراض. ويأمن

المقتدى به من الوقوع في العطب والحافظ رحمه الله تعالى. وإن كان لم يعتمد هذين القولين في شرح الحديث لكن كان الاولى عدم ذكرهما بالمرة ليلا يقع الناظر القاصر النظر في حيرة من شأنها لاسيما مع عدم بيان فسادهما. والاشارة الى بطلانهما كما فعل الحافظ رحمه الله فانه ذكرهما وذهب الى حال سبيله ولم يذكر اذنى اشارة الى فسادهما وبعدهما عن الحق والصواب.

واما الذي اختاره في معنى الحديث وقال هو الصواب المختار. فهو ان الحديث محمول على ظاهره. وان هذا الابصار ادراك حقيقي خاص به صلى الله عليه وءاله وسلم انخرقت له فيه العادة قال وعلى هذا عمل المصنف يعني البخارى رحمه الله فاخرج هذا الحديث في علامات النبوة وكذا نقل عن الامام احمد وغيره قلت وهذان القولان زيادة على كونهما لا دليل عليهما من النقل والعقل. فهما في غاية البشاعة والفظاعة. لا يليق بمؤمن ان ينطق بهما في جانب الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم ويصفه بمضمونها. ولو كنت ذا سلطان في عصر قائل هذين القولين لعزرته ابلغ تعزير. وأدبته اعظم تأديب حتى لا يعود مرة اخرى لان ينطق بمثل هذا الهراء الساقط. ويهجم على مقام النبوة المقدس بمثل هذا السخف. وليكون نكالا لغيره. وعبرة لمن عقله مثل عقله في التجرأ على القول بالفضول بدون علم ولا فهم للمسائل

وهذا الجاهل الناطق بهذا السخف بلغ به الجهل بقواعد دينه الى درجة عظيمة جداً.

ذلك انه رأى الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم قال انى اراكم من خلف ظهرى. فظن ان الرؤية لا تكون الا بعينين مبصرتين كما هى العادة الجارية فقال كانت له عينان وراء ظهره او في قفاه ينظر بهما من خلفه.

وغاب عن هذا الجاهل المحتار ان كون الابصار عن طريق العين ليس بحتم ولا لازم عند اهل الايمان. بل قد يخلق الله تعالى قوة الابصار في عضو

آخر من اعضاء الجسم فيرى ويبصر بدون جارحة عين مطلقـا وهـذه قضيـة لا يخالف فيها مسلم.

فبقطع النظر عن كون رؤية النبي صلى الله عليه وءاله وسلم لمن خلفه لم تكن عن طريق الكشف والتجلي الذي منحه الله تعالى اياه فكان يرى البعيد عنه كالقريب منه على السواء. تكون من باب خلق الله تعالى له قوة الابصار في ظهره كما قال اهل السنة بدون ان تكون هناك عين صغيرة او عينان لا يحجبها ثوب ولا غيره.

والله الذي يخلق العين التي لا يحجبها ثوب ولا غيره قادر كذلك على خلق قوة الابصار بغير وجود عين. ففي كل منهما خرق للعادة. وخروج عن المألوف المعهود. غير ان ايجاد عينيـن صغيرتين في القفـا مستحيل في حق الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم تماما عقلا وعادة. ومنكر شرعا وطبعاً

لانه بشيع غريب عن كمال الخلقة. وجمال الصورة الانسانية التي كان لهـا صلى الله عليه وءاله وسلم المثل الاعلى في الجمـال، والكمال، والبهـاء. والسناء وبلوغ والغايـة التي لا تدرك مما نقطع ونجزم بأنه صلى الله عليه وءاله وسلم لم يكن في ذاته المقدسة المكرمة شيء يخالف جمال الطبيعة. ويقدح في كمال الصورة الانسانية وحسن الخلقة البشرية.

وقد ورد بطريق التواتر أنه صلى الله عليه وءاله وسلم كان حسن الجسم من رآه هابه لكمال صورته وبهاء طلعته، وجمال خلقته.

وقد نقل صفة ذاته الجم الغفير عن الجم الغفير الى ان وصـل الينا كذلك وليس في شيء مما نقلوه من صفاته صلى الله عليه وءالـه وسلم ما يشهد او يشير الى ما قاله هذا الجاهل.

فهاهـى صفته صلى الله عليه وءاله وسلم مقررة في كتب السنة باسانيدها مبينة بجميع الفاظ رواتها، وليس في شيء من الفاظها ولله الحمد أدنى اشارة

الى هذا القول الباطل الفاسد .

ولا يبعد عندى ان يكون القائل بمثل هذا القول خارجاً عن الجادة سالكا سبيل الغواية نسأل الله السلامة ولو كان لهذا القائل بهذا القول ادنى بصيرة وتدبر ونظر فى الحديث بعين العلم والفهم الصحيح لوجد فى الحديث نفسه. ولفظه الصحيح ما يرده عن النطق بهذا الهراء والباطل. ولعلم من منطوق الحديث أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وءاله وسلم يريد بذلك أن الله تعالى يطلعه على أمور أمته ويكشف له أحوالهم الظاهرة والباطنة. عن طريق رفع الستور والحجب بدون خلق عين في الظهر ولا في الرأس. وبدون ان يكون ذلك قريباً منه او بعيداً عنه (1) بل جلى الله تعالى له هذا العالم فصار ينظر

(1) وفى الحديث الالهى الصحيح: لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث. وقرب النوافل هو زوال الصفة البشرية وظهور صفاته تعالى بان يحيى ويميت باذنه تعالى ويسمع من جميع جسده لا من الاذن والعين فقط. وكذا يسمع المسموعات من بعيد ويبصر المبصرات من بعيد وهو ثمرة النوافل. كما بينت ذلك في كتابي (اظهار ما كان خفيا من كلام الذهبي فى حديث من عادى لى وليا) فاذا كان شأن المدمن على النوافل أن يرى ويسمع من جميع جسده بدون عين ولا اذن فكيف بسيد الانبياء الذي كان يقوم حتى تتورم قدماه الكريمتان الشريفتان صلى الله عليه وءاله وسلم. وانظر (التحفة المرسلة الى رسول الله) لمحمد بن فضل الله الهندى وشرحها (كشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة) لعبد الرحمن السويدى البغدادى رحمه الله .

اليه كما ينظر الى كفه الشريف كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر.

وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحديث نفسه فو الله ما يخفى على خشوعكم وركوعكم ومعلوم ان الخشوع عمل قلبي لا يرى بالعين والبصر وانما يكون بالاطلاع على غيب القلوب وبواطن الصدور.

فدل الحديث نفسه على ان اطلاعه صلى الله عليه وءاله وسلم على ركوعهم مثل اطلاعه على خشوعهم. فكما ان الخشوع لم يطلع عليه بعين وجارحة كذلك الركوع لم يطلع عليه بعين وجارحة.

وانما هو الجليان الالهي. والكشف الرباني كما كان حاله صلى الله عليه وءاله وسلم مع اصحابه دائما لا يكادون يأتون امرأ في بيوتهم وبلادهم النائية الا واخبرهم بذلك خبر المشاهد المعاين.

وكما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم باحوال أمته التى أطلعه الله تعالى عليها فوقعت كما اخبر بعد اخباره بالف سنة وزيادة. ووصفها وصفا دقيقا بحيث لا نستطيع ونحن نشاهدها ونعاينها أن نصفها كما وصفها صلى الله عليه وآله وسلم.

كما بينت ذلك في كتابى (عقود الجمان. فيما اخبر به النبى صلى الله عليه وءاله وسلم من احوال هذا الزمان) (1) وقد قالت له عائشة رضى الله عنها

(1) وذكرت الاحاديث المخبرة بظهور القنبلة الذرية والصواريخ والوصول الى القمر وغيره من الكواكب وتفوق روسيا بخصوصها في غزو الفضاء. وظهور دويلة اسرائيل ومحاربة الجامعة العربية لها. وحال البلاد الاسلامية مع الدول الاستعمارية فى عهد الاستعمار وبعد الاستقلال وتأييد اميركا للمشاريع الاستعمارية التي من جملتها دويلة اسرائيل وغير هذا فى محاضرتين القيتهما في (نادي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بطنجة) في نحو اربعين صفحة كانتا مثار اعجاب السامعين.

لما ارسلها الى النظر الى المرأة التي أراد ان يخطبها وسألها عما رأت فلم تجبه وكتمت عنه ما رأت فقال لقد رأيت خلا الخ. قالت وما يخفى عليك شيء او ومن يستطيع ان يكتمك شيئا.

والمقصود ان صاحب هذا القول اظهر جهلا. وعجزاً في الفهم. وضعفا في العقيدة. لانه ظن ان النظر لا يكون الا عن طريق العين، وجرحكم العادة على صاحب المعجزة. وقيد القدرة بما تخيله عقله القاصر.

ثم ان هذا القول مما ينبغي ان ينبه على فساده عند المناسبات لاسيما بعد ان صار ينقل في الكتب ويدرج في الشروح الموضوعة على كتب السنة على انه من الوجوه التي قيلت في توجيه الحديث كما فعل الحافظ السيوطي رحمه الله في تنوير الحوالك في شرح موطا مالك. فانه ذكر هذين القولين هو الاخر نقلا عن الحافظ من غير ان يشير الى بطلانهما وفسادهما كانهما من الاقوال المعتبرة السالمة من الفساد والاعتراض. والرجل العامى اذا وجد حافظين جليلين مثل ابن حجر والسيوطى يذكر ان هذين القولين ويسكتان عليهما فانه لا محالة يرى ان القول بهما والعمل عليهما لا شيء فيه ولا بأس به مع أنهما قولان فاسدان باطلان لا يجوز الالتفات اليهما ولا ذكرهما في الكتب الا مع التنبيه عليهما لان ذلك لم ينقل كما قلنا ولم يات في رواية من الروايات في صفته صلى الله عليه وءاله وسلم والكلام في ذات رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم ووصفه يجب ان يكون موقوفا على الوارد المسموع. قاصراً على النص الثابت الصحيح. والا وقع صاحبه فى الكفر والمروق من الدين نسال الله السلامة والعافية وهذه الاسطر املتها في مجلس لطيف لما وقفت على هذا القول السخيف الذي قف شعري منه وضاق صدري عند رؤيته.

لانه جعل ذات الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم مثلة وأعجوبة يتعجب

منهـا. لاسيما عند العامة وضعفاء العقول. وكل ذلك يجر الى تحقير مقام النبوة والوقوع في الكفر والعياذ بالله تعالى.

ولم اجد هذه الصفة التي وصف بها هذا الجاهل رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم الا لملك الموت عند قبضه ارواح الكفار اعداء الله ورسوله زيادة في ارهابهم وتخويفهم. وفزعهم لانها هيأة مفزعة وصورة مروعة. وحالة منكرة.

فقد اخرج ابن ابى الدنيا في كتاب ذكر الموت عن عبيد بن عمير قال نبينما ابراهيم عليه الصلاة والسلام يوما في داره اذ دخل عليـه رجل حسن الشارة فقال ياعبد الله من ادخلك داري قال ادخلنيها ربها قال ربها احق بهـا فمن انت قال ملك الموت قال لقد نعت لى منك اشياء ما أراها فيك قال أدبر فأدبر فإذا عيون مقبلة، وعيون مدبرة. وإذا كل شعرة منه كانها إنسان قائم فتعـوذ ابراهيم صلـى الله عليه وسلم مـن ذلك وقال عد الى الصورة الاولى قال ياابراهيم ان الله تعالى اذ ابعثني الى من يحب لقائه بعثني فى الصورة التي رأيت اولا .

ومجيء ملك الموت الى الكافر بعيون مقبلة وعيون مدبرة كاف في تنزيه الرسول صلى اله عليه وءاله وسلم عن وصفه بعيون في ظهره كما هو ظاهر فان ملك الموت لا ياتى لقبض روح الكافر الا وهو في صورة توافق حـال كفره. وتلائم فساد عقيدته وظلمانية روحه. وحاشا مولانا الرسول الاعظم والنبى المكرم. والحبيب المقرب صلى الله عليه وءاله وسلم إن يكون متصفا بشيء من هذا.

ومما يدخل في هذا الباب ويلحق بيان فساده فى هذا الكتاب ما ذكره بعضهم من ان سبابة يديه صلى الله عليه وءاله وسلم أطول من الوسطى.

فهذا القول ايضا من جنس ما تقدم بل هو اخوه وشقيقه فى الفساد والبطلان وعدم قيام الدليل عليه وابرهان. وقد قال ابن دحيه انه قول باطل بيقين ولم يقله أحد من ثقات المسلمين.

ويضاف الى هذا ايضا ما ذكره بعض من الف في السيرة النبوية والشمائل المحمدية من ان قوة بصره صلى الله عليه وءاله وسلم كانت حادة جداً الى درجة انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما في حين ان الناس لا يرون فيها الا سبعاة. وهذه القضية لم ترد بسند يعول عليه وانما ذكرها بعض اهل السيرة التي تجمع ما صح وما قد انكر كما قال الحافظ العراقي رحمه الله. وهذه القضية من الموضوعات التي توجد في كتاب (الشفا) للقاضى عياض رحمه الله وان كان بعض اهل الوقت انكر وجود الموضوع فيه. ولو راجع وتأمل لوجد فيه الكثير من الحديث الموضوع. ولولا خوف الاطالة لذكرت جملة من ذلك.

وكذلك جعلوا رؤيته صلى الله عليه وءاله وسلم لبيت المقدس لما وصفه لقومه. وصلاته على النجاشي وكونه كان يرى فى المظلمة كما كان يرى فى الضوء كل ذلك راجعاً الى قوة بصره وحدته.

وهذ باطل جزما فاسد عقلا ونقلا. وانما كان هذا من باب الكشف والجليان الذي جلاه الله له.

وقد اخبر صلى الله عليه وءاله وسلم عن بيت المقدس ان الله رفعه اليه فصار ينظر اليه.

وهذا كما وقع له فى الجنة والنار لما رأهما في عرض الحائط وهو واقف يصلى حتى تأخر عن النار خشية ان يصيبه لهيبها بل من شدة قربها منه ورؤيته لاهلها يتعذبون قال يارب أو أنا معهم كما في الصحيح.

فلا ينبغي القول بغير هذا فى مثل هذه الاحاديث ومن الواجب على المؤمن ان يفرق بين المعجزة وبين ما هو من قبيل تخريف اهل الهوس والجهل. فيثبت للرسول صلى الله عليه وءاله وسلم العجزة التي يكون فى ثبوتها له دليل على نبوته وصدق رسالته. وينفى عنه تخريف المخرفين. وتحريف المبطلين الذي يتنزه مقام النبوة المعظم عنه نور الله بصائرنا وهدانا الى معرفة الحق من الباطل.

وهذا آخر ما اردت تعليقه على هذا القول الفاسد المنكر. وهو كاف فى التنبيه والتحذير.

وأسأل الله تعالى الكريم أن يتقبله قبولا حسنا ويجعلنى من أسعد الناس بشفاعة رسوله صلى الله عليه وءاله وسلم وكان تعليقه في ليلة الاربعاء ثالث وعشري ربيع النبوي الانور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة والف بثغر طنجة الميمون.

والحمد لله اولا واخيرا وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما.

